

الوقت

عناصر الموضوع

١٨٤	مفهوم الوقت
١٨٥	الوقت في الاستعمال القرآني
١٨٦	الأفاظ ذات الصلة
١٨٩	الوقت نعمة إلهية
١٩٣	أهمية الوقت
١٩٩	استثمار الوقت
٢٠٢	معوقات استثمار الوقت
٢٠٩	الوقت في الأحكام الشرعية
٢٢٥	أوقات فاضلة

مفهوم الوقت

أولاً: المعنى اللغوي:

«الواو والقاف والتاء: أصل يدل على حد شيء وكنهه في زمان وغيره، منه الوقت: الزمان المعلوم، والموقوت: الشيء المحدود»^(١)، ووقت الشيء بالتخفيف فهو موقوت إذا بين له وقتاً ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

أي: مفروضاً في الأوقات، والتوقيت تحديد الأوقات، ويقال: وقته ليوم كذا توقيتاً مثل أجله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾ [المرسلات: ١١]^(٢)، وفي لسان العرب: «الوقت: مقدار من الزمان، وكل شيء قدرت له حيناً، فهو مؤقت، وكذلك ما قدرت غايته، فهو مؤقت»^(٣) وقال الكفوي: «الوقت، لغة: المقدار من الدهر، وأكثر ما يستعمل في الماضي كالميقات، ونهاية الزمان المفروض لعمل، ولهذا لا يكاد يقال إلا مقيداً»^(٤).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

بالنظر في أقوال العلماء في الدلالة اللغوية والاصطلاحية للوقت نجد أنه لا فرق بينهما، فالوقت هو الدهر، وهو حياة الإنسان التي ينبغي أن تعمّر بالطاعات، وهو المقدار من الزمان، ولا يكاد يذكر إلا مقيداً، مثل أوقات العبادات كالصلاة والزكاة والصيام والحج، وأجال أداء الديون والحقوق، وعدد النساء.

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٦/ ١٣١.

(٢) انظر: مختار الصحاح، الرازي ص ٣٤٣.

(٣) لسان العرب، ابن منظور ٢/ ١٠٧.

(٤) الكليات، أبو البقاء الكفوي ص ٩٤٥.

الوقت في الاستعمال القرآني

وردت مادة (وقت) في القرآن الكريم (١٣) مرة^(١).
والصيغ التي وردت، هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	١	﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتَ ۖ﴾ [المرسلات: ١١]
المصدر	٣	﴿إِنَّ يَوْمَ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٨]
اسم	٨	﴿فَجَمِيعَ الشَّكْرِ لِيَقْنَتَ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ٣٨]
اسم مفعول	١	﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]

وجاء في القرآن بمعناه في اللغة وهو: الزمان المعلوم. والموقوف: الشيء المحدود^(٢).
والميقات: الوقت المضروب للفعل^(٣).

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٧٥٧.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٦/ ١٢٣.

(٣) انظر: مختار الصحاح، الرازي ص ٣٤٣.

الألفاظ ذات الصلة

١ الأوان:

الأوان لغةً:

الحين والزمان، والجمع: آونة مثل: زمان وأزمنة، تقول: جاء أوان البرد^(١)، و«آن الشيء أينًا حان»^(٢).

الأوان اصطلاحًا:

«أوان الشيء: وقته الذي يوجد فيه وجمعه آونة»^(٣)، و(الأوان) أعم من (الوقت).

الصلة بين الأوان والوقت:

أن (الوقت): مقدار من الزمان مفروض لأمر ما، و(الأوان): الحين، وهو الزمان قل أو كثر، وسواء كان مفروضًا أم لا، فكل وقت أوان دون العكس^(٤)، ولذلك يقال عن الأمر الذي يقع بشكل غير منتظم زمنيًا: أحيانًا يقع كذا، أما الأمر الذي يقع بانتظام زمنيًا فيقال عنه: في وقت كذا يقع.

٢ الميقات:

الميقات لغةً:

«مصدر (الوقت)»^(٥).

الميقات اصطلاحًا:

«الوقت المضروب للشيء، والوعد الذي جعل له وقت وقد يقال الميقات للمكان الذي يجعل وقتًا للشيء، كميقات الحج»^(٦).

الصلة بين الميقات والوقت:

أن الميقات: ما قدر ليعمل فيه عمل من الأعمال، وأما الوقت فهو: وقت الشيء قدره مقدر، أو لم يقدره^(٧).

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ٣٩٢/١٥، مختار الصحاح، الرازي ص ٢٦.

(٢) لسان العرب، ابن منظور ٤٠/١٣.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص ٦٦.

(٤) انظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري ص ٥٧٦.

(٥) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ١٩٨/٩.

(٦) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٨٧٩.

(٧) انظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري ص ٥٢٦.

٣ الدهر:

الدهر لغة:

«الزمان»^(١) قال ابن فارس: «الذال والهاء والراء أصل واحد، وهو الغلبة والقهر. وسمي الدهر دهرًا؛ لأنه يأتي على كل شيء ويغلبه»^(٢).

الدهر اصطلاحًا:

اسم لمدة العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه وعليه قوله تعالى: ﴿هَذَا أَقْبَلُ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

ثم عبر به عن كل مدة كثيرة^(٣).

الصلة بين الدهر والوقت:

أن الدهر يعبر به عن كل مدة كثيرة، بخلاف الوقت فإنه يقع على المدة القليلة والكثيرة، ويقال: دهر فلان: مدة حياته.^(٤)

٤ الساعة:

الساعة لغة:

قال ابن فارس: «السين والواو والعين يدل على استمرار الشيء ومضيه من ذلك الساعة سميت بذلك»^(٥).

الساعة اصطلاحًا:

هي جزء من أجزاء الزمان، قال الراغب: «الساعة جزء من أجزاء الزمان، ويعبر به عن القيامة»^(٦).

الصلة بين الساعة والوقت:

أن الساعة هي الوقت المنقطع من غيره، والوقت اسم الجنس ولهذا تقول إن الساعة عندي ولا تقول الوقت عندي»^(٧).

(١) الصحاح، الجوهري ٦٦١/٢.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس ٣٠٥/٢.

(٣) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص ١٦٨.

(٤) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٣١٩.

(٥) مقاييس اللغة، ابن فارس ٣٠٥/٢.

(٦) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٤٣٤.

(٧) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري ص ٢٧٢.

٥ الحين:

الحين لغةً:

«الزمان قليله وكثيره»^(١).

الحين اصطلاحاً:

«وقت بلوغ الشيء وحصوله، وهو مبهم المعنى ويتخصص بالمضاف إليه»^(٢).

الصلة بين الحين والوقت:

الوقت قدر من الزمان مفروض مميز من جملة، مشار إليه بعينه، وكذلك الحين هو مدة أطول من الوقت وأفسح وأبعد، وإنما تقتزن أبداً هاتان اللفظتان بما يميزهما ويفصلهما من جملة الزمان الذي هو كل لهما، فيقال: وقت كذا وحين كذا، فينسب إلى حال أو شخص أو ما أشبه ذلك.

فإذا أريد بهما الإبهام لا الإفهام قيل: كان كذا أو يكون كذا في حين أو وقت، فيعلم السامع أن المتكلم لم يؤثر تعيين الوقت والحين، وهما لا محالة معينان محصلان^(٣).

٦ العصر:

العصر لغةً:

الدهر، وجمعه: عصور، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: ١-٢]^(٤)، أي: الدهر.

العصر اصطلاحاً:

«العصر: الدهر واليوم والليلة والعشاء إلى احمرار الشمس»^(٥).

الصلة بين العصر والوقت:

الوقت هو مقدار من الزمان مفروض لأمر ما، وأما العصر فهو الزمن والظرف الذي يملؤه الإنسان في حياته بعمله.

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٢/ ١٢٥.

(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٢٦٧، التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص ١٥٠.

(٣) الهوامل والشوامل، ابن مسكويه ص ٥٨.

(٤) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٥٦٩.

(٥) الكلبيات، أبو البقاء الكفوي ص ٦٥٢.

الوقت نعمة إلهية

أولاً: الوقت نعمة إلهية:

من أجل نعم الله تعالى على الإنسان في حياته نعمة الوقت، والتي لولاها لما تمكن من القيام بأي عمل يتفجع به في دنياه أو آخرته، فبالوقت واستغلاله يؤدي العبادة لخالقه ويتقرب إليه، بل إن في الوقت فرصة متاحة له إن كان معرضاً عن عبادة الله وطاعته لكي يتوب ويؤوب إليه، وبالوقت أيضاً يتمكن من العمل والإنتاج، فالوقت ساحة العمل والانتفاع وميدان للجهد والاجتهاد.

وقد أوضح الله تعالى في كتابه العزيز عظم نعمة الوقت وتنظيمه في عدة مواضع، وبين أن ذلك من آياته الباهرة لعباده، ورحمته الواسعة بهم.

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٣-٣٤].

فامتن الله تعالى على عباده بتسخير الليل والنهار والشمس والقمر لتنظم أمور حياتهم وأعمالهم.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَنَّا بِآيَةِ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً

لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلُنَا نَقْصِيلاً ۝١٢﴾ [الإسراء: ١٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «يمتن تعالى على خلقه بآياته العظام، فمنها مخالفته بين الليل والنهار، ليسكنوا في الليل ويتشربوا في النهار للمعاش والصناعات والأعمال والأسفار، وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجازات وغير ذلك؛ ولهذا قال: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أي: في معاشكم وأسفاركم ونحو ذلك، ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾، فإنه لو كان الزمان كله نسقاً واحداً وأسلوباً متساوياً لما عرف شيء من ذلك»^(١).

فالليل والنهار نعمتان عظيمتان على الإنسان، ولا غنى له عن أحدهما، فتعذر حياة الإنسان والحيوان والنبات لو كان الليل سرمداً إلى يوم القيامة، وكذا تتعذر الحياة لو كان النهار سرمداً إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِّنْ إِلَّاهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَصِيرَةٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِّنْ إِلَّاهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ٤٩.

يَلِيلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾

[القصص: (٧٢-٧١)].

والمعنى: «أخبروني من يقدر على هذا؟
والسرمد: الدائم المتصل، من السرد وهو
المتابعة»^(١).

وفي الآيتين السابقتين امتن الله تعالى
على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار،
للذين لا قوام لهم بدونهما. وبين لهم أنه
لو جعل الليل دائما عليهم سرمدا إلى يوم
القيامة، لأضر ذلك بهم، ولستمتته النفوس،
ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ

بِضِيَاءٍ﴾ أي: تبصرون به وتستأنسون
بسيبه، ثم أخبر أنه لو جعل النهار سرمدا
دائما مستمرا إلى يوم القيامة، لأضر ذلك
بهم، ولتعبت الأبدان وكلت من كثرة
الحركات والأشغال؛ ولهذا قال: ﴿مَنْ إِلَهُ
غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ يَلِيلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ أي:
تستريحون من حركاتكم وأشغالكم^(٢).

قال الزمخشري: «فإن قلت: هلا
قيل: بنهار تتصرفون فيه، كما قيل: ﴿يَلِيلٍ
تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾؟

قلت: ذكر الضياء وهو ضوء الشمس:
لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة، ليس
التصرف في المعاش وحده، والظلام ليس
بتلك المنزلة، ومن ثمة قرن بالضياء ﴿أَفَلَا

تَسْمَعُونَ﴾ لأن السمع يدرك ما لا يدركه
البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده،
وقرن بالليل ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لأن غيرك
يبرر من منفعة الظلام ما تبصره. وأنت من
السكون ونحوه ومن رحمته زواج بين الليل
والنهار لأغراض ثلاثة: لتسكنوا في أحدهما
وهو الليل، ولتبتغوا من فضل الله في الآخر
وهو النهار ولإرادة شكركم»^(٣).

قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: (٧٣)].

وقال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾
[الرحمن: (٥)].

أي: بحساب دقيق، وتقدير حكيم بحيث
لا يشوب جريهما اختلال أو اضطراب^(٤)،
«يجريان بحساب ومنازل لا يعدوانها،
ويدلان بذلك على عدد الشهور والسنين»^(٥)
والأيام، ولولا الليل والنهار والشمس
والقمر لم يدر أحد كيف يحسب لأن الدهر
يكون كله ليلا أو نهارا. فالشمس والقمر
يجريان بحساب ومنازل محكمة ليعرف
الإنسان بذلك شهر الصوم، وأشهر الحج،
ويوم الجمعة، وعدد النساء اللاتي تعد
بالشهور، كاليائسة والصغيرة والمتوفى عنها

(٣) الكشف، الزمخشري ٣/ ٤٢٨-٤٢٩.

(٤) انظر: الوسيط، محمد سيد طنطاوي

١٣٠/١٤.

(٥) فتح القدير، الشوكاني ٥/ ١٥٨.

(١) الكشف، الزمخشري ٣/ ٤٢٨.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٢٥٢.

والنعيم لفظ عام، فهو يشمل كل ما يتنعم به الإنسان في الدنيا، سيسأل عنه يوم القيامة^(٢).

والوقت من أجل النعم، وقد أورد الإمام ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في الإشارة إلى نعمة الوقت والحث على اغتنامها: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعمتان مغبون^(٣) فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ^(٤)).

ثم قال ابن كثير: «ومعنى هذا: أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين، لا يقومون بواجبهما، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه، فهو مغبون^(٥)».

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٥٨٦/٢٤، أضواء البيان، الشنقيطي ٨٥/٩، ٨٦.

(٣) الغبن: الخسارة، وهو بالسكون في البيع، وبالتحريك في الرأي، ويصح كل منهما في هذا الخبر فإن من لا يستعمل الصحة والفراغ فيما ينبغي فقد غبن لكونه باعهما ببخس ولم يحمد رأيه في ذلك، وقوله في الحديث: (مغبون فيهما كثير من الناس)، كقوله تعالى:

﴿وَقِيلَ مَنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾، فالكثير في الحديث في مقابلة القليل في الآية.

انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٠/١١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، رقم ٦٤١٢، ٨٨/٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٧٨/٨.

زوجها^(١)، ومدة الحمل، ومدة الرضاعة، ومدة الإجازة، وآجال الخلائق، وتاريخ الأمم والشعوب، وغير ذلك من الأمور المستفادة معرفتها من جريان الشمس والقمر، وهو من تيسير الله تعالى على خلقه في أمور حياتهم، ومن مظاهر رحمته تعالى بهم، كما يشهد له مطلع السورة: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ [الرحمن: ١].

أي: الرحمن هو الذي أنعم بذلك، ولذلك يكثر في هذه السورة قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبُونَ﴾ [الرحمن: ١٣].

حيث تكرر واحدًا وثلاثين مرة فيها. وقد أنعم الله تعالى على خلقه بتنظيم أوقاتهم وجعلها أياما وشهورا وسنين، ليعلموا من ذلك ما مضى من أعمارهم وأوقاتهم، وليتنبهوا إلى اقتراب آجالهم، ودنو حسابهم، فيكون ذلك دافعا وحافزا لهم على العمل والجد والاستعداد ليوم الحساب.

ثانياً: الوقت مسؤولية:

وهذه النعمة العظيمة على الإنسان في تنظيم وقته سيسأله الله تعالى عنها.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

(١) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٤٩١/٧.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣].

وفي ذلك حفظ لحياة الإنسان وعمره ووقته، ومن ذلك أيضًا تحريمه تعالى بعض الأشياء كالخمر والميسر وغيرهما مما فيه إضاعة للوقت ومشغلة عن طاعة الله والتفكير في خلقه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩١].

فالوقت نعمة عظيمة من نعم الله تعالى على عباده، سيسألهم عنها وما عملوا فيها، ومن اللطائف أن السورة التي تلت هذه الآية من سورة التكاثر في المصحف، هي سورة العصر، وفي مطلعها قسمه تعالى بالعصر: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: ١].

وهو الوقت، وفي ذلك إشارة إلى نعمة الوقت ودخوله في النعيم المسؤول عنه يوم القيامة.

وفي الحديث عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه) (١).

فالواجب على العبد حتى ينجو بنفسه في ذلك اليوم العصيب، أن يحافظ على قضاء وقته في طاعة الله تعالى، ويقوم بشكر نعمة الله عليه في ذلك.

وقد أمر الله تعالى عباده بالحفاظ على نعمة الوقت وصيانتها، ومن ذلك أنه تعالى حرم عليهم الانتحار وقتل النفس بغير الحق عموماً.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرفائق والورع، باب في القيامة، رقم ٦١٢/٤، ٢٤١٧. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم ١٢٢١/٢، ٧٣٠٠.

فيه أن الله تعالى إذا أقسم بأمر فإنما يدل هذا القسم على مكانة المقسم به العالية، وأهميته البالغة، ومنافعه الحسية والمعنوية التي يريد لفت أنظار الناس إليها.

فقد أقسم تعالى بالفجر، قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١﴾ [الفجر: ١] كما أقسم بالصبح في قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا اسْتَفْرَجَ ۝٣٤﴾ [المدثر: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ [التكوير: ١٨].

أقسم تعالى بالفجر، الذي هو آخر الليل ومقدمة النهار، لما في إدبار الليل وإقبال النهار، من الآيات الدالة على كمال قدرة الله تعالى، وأنه وحده المدبر لجميع الأمور، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ويقع في الفجر صلاة فاضلة معظمة، يحسن أن يقسم الله بها^(١).

قال السعدي: «أقسم تعالى بالقمر، وبالليل وقت إدباره، والنهار وقت إسفاره، لاشتغال المذكورات على آيات الله العظيمة»^(٢).

ومن ذلك قسمه تعالى بالضحى على إنعامه على رسوله صلى الله عليه وسلم وإكرامه له وإعطائه ما يرضيه، كما في قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى ۝١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝٢﴾ مَا

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٩٢٣.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ٨٩٧.

أهمية الوقت

الوقت عمر الإنسان، ورأس ماله، ولولا الوقت لما تعلم متعلم ولا وصل سائر، ولولا الوقت لما بدا من اجتهاد نبي الله نوح عليه السلام في دعوته لقومه ما بدا، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ۝١٤﴾ [العنكبوت: ١٤].

ولولا الوقت لما تعجب من قصة أصحاب الكهف من تعجب، ﴿وَلْيَتَوَفَّيْ كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ۝٢٥﴾ [الكهف: ٢٥].

ولما كان الوقت بتلك الأهمية والقيمة في حياة الإنسان، أشار القرآن الكريم إلى أهميته، لينبه على ضرورة اغتنامه وصرفه فيما ينبغي من العبادات وأعمال البر التي يهدي إليها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ۝٩﴾ [الإسراء: ٩].

ومن الإشارات القرآنية التي تدل على أهمية الوقت وفضله ما يلي:

أولاً: القسم بالوقت:

ولعظم مكانة الوقت أقسم الله تعالى به على مختلف أطواره (الليل، والنهار، والفجر، والصبح، والضحى، والعصر) في عدة مواضع من كتابه الكريم، ومما لا شك

وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣٠﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٣١﴾ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٣٢﴾
[الضحى: ١-٥].

قال ابن القيم رحمه الله: «فتأمل مطابقة هذا القسم - وهو نور الضحى - الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه - وهو نور الوحي - الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه: ودع محمدًا ربه، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه»^(١).

ومن ذلك قسمه تعالى بالليل، وقد أقسم الله تعالى به في ثمانية مواضع، سبعة منها بإفراد الليل وهي:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [المدر: ٣٣].

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ [التكوير: ١٧].

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٧].

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾ [الفجر: ٤].

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الشمس: ٤].

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١].

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ٢].

وواحد بالجمع وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾

﴿عَشِيرَ﴾ [الفجر: ٢].

«فهو سبحانه يقسم بالليل في جميع أحواله إذ هو من آياته الدالة عليه»^(٢).

فالليل فيه السكن والماوى والهدوء

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم ص ٧٣.

(٢) المصدر السابق ص ٥٥.

والراحة والستر.

ومن ذلك أيضًا قسمه تعالى بالنهار، فقد أقسم بالنهار في موضعين، قال تعالى:

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الشمس: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ٢].

يعني: النهار إذا جلى الظلمة وأضاء الدنيا^(٣).

ومن ذلك أيضًا قسمه تعالى بالعصر، كما في قوله: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [الشمس: ١]، «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ» [العصر: ١-٢].

والعصر: «الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم، من خير وشر»^(٤)، «فأقسم بالعصر الذي هو زمان أفعال الانسان ومحلها على عاقبة تلك الأفعال وجزائها»^(٥)، وفيه إشارة إلى ضرورة صرف هذا الوقت في طاعة الله، وإلا فإن ضيع وقته في معصية الله فقد خسر أوقاته، وخسر نفسه معها.

ثانيًا: الثناء على مستثمري الوقت:

ومما يبين اهتمام القرآن الكريم بالوقت وعنايته به: ثناؤه على مستثمريه من العباد والصالحين والدعاة وغيرهم من الطائعين لرب العالمين، والآيات في ذلك كثيرة جدًا.

(٣) انظر: تفسير السمرقندي ٥٨٥/٣، معالم التنزيل، البغوي ٤٣٥/٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٨٠/٨.

(٥) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم ص ٨٤.

أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴿١٩٥﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وأخبر تعالى عن نبيه زكريا عليه السلام: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فمدحه تعالى في إسرعه بالخير ودعائه له، وذلك كله من زكريا من حسن تصرفه في وقته وعمارته له.

ثالثاً: توبيخ مضيعي الوقت:

ومما يبين اهتمام القرآن الكريم بالوقت وعنايته به: توبيخه لمضيعيه من الكفرة والعصاة والغافلين عن طاعة رب العالمين، ممن أضاعوا أوقاتهم في اللهو واللعب، والآيات في ذلك كثيرة جداً.

قال الله تعالى في وصف حال أهل النار: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ أُولَٰئِكَ نُعَذِّبُكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧].

فأخبر تعالى عن صراخهم واستغاثتهم وعويلهم^(٢)، يقولون: ربنا أخرجنا من هذه النار لكي نعمل صالحاً غير ما كنا نعمل

قال الله تعالى في وصفه المحسنين من عباده: ﴿إِخْلُذِينَ مَا أَلَهُمْ رَبُّهُمْ لَنْتَمَّ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ ﴿١٧﴾ وَلَا أَتَاكُمُ بِسْتَفِيرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٦-١٨].

كابدوا قيام الليل، فلا ينامون من الليل إلا أقله، ونشطوا فمدوا إلى السحر، ثم في السحر أخذوا في الاستغفار^(١)، فمدح الله أفعالهم وانتفاعهم بوقتهم.

قال تعالى: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنْتِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿١﴾﴾ [الزمر: ٩].

وقوله في مدح صفوته وأحبائه: ﴿وَالَّذِينَ يَسْتَوُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان: ٦٤].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

إنهم يستغلون أوقاتهم على جميع الهيئات قائمين وقاعدين وعلى جنوبهم، ولذلك كانوا أهلاً لاستجابة الله لهم، وإكرامه لهم، ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا

(٢) انظر: تفسير الجلالين ص ٥٧٦.

(١) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤١٧/٧.

في دنيانا من قبل، فيقال لهم جوابا على ما طلبوه: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ والاستفهام تفرغ للتوبيخ والتعصير: تطويل العمر، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُخْرِجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦] ^(١).

والغرض من الاستفهام في قوله: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرْ﴾ توبيخهم في إضاعة أعمارهم وأوقاتهم، وعدم الانتفاع بها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «أي: أو ما عشتم في الدنيا أعمارا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لا تنفعتم به في مدة عمركم؟» ^(٢). ومن توبيخ القرآن الكريم على إضاعة الوقت، ما ذكره الله تعالى في كثير من الآيات من التعريض بالكفرة لإضاعتهم أوقاتهم في اللعب والخوض في الباطل، وتوعدهم بالعذاب.

قال تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣]. والمعنى: «فذرهم يخوضوا ويلعبوا أي: اترك الكفار حيث لم يهتدوا بما هديتهم به ولا أجابوك فيما دعوتهم إليه يخوضوا في

أباطيلهم، ويلهوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو يوم القيامة» ^(٣). كما قال تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ ^(٤). ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ يِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَيْكَ تُصْبِرُ يُوفُونَ﴾ ^(٥). ﴿خَشِيعَةً أَنْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ^(٦). [المعارج: ٤٢-٤٤].

قوله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾ أي: يَخُوضُوا بالأقوال الباطلة، والعقائد الفاسدة، ويلعبوا بدينهم، ويأكلوا ويشربوا، ويتمتعوا ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ فإن الله قد أعد لهم فيه من النكال والوبال ما هو عاقبة خوضهم ولعبهم.

ثم ذكر حال الخلق حين يلاقون يومهم الذي يوعدون، فقال: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور، ﴿يِرَاعًا﴾ مجبيين لدعوة الداعي، مهطعين إليها ﴿كَانَتْهُمْ إِلَيْكَ تُصْبِرُ يُوفُونَ﴾ أي: كأنهم إلى علم يؤمون ويسرعون أي: فلا يتمكنون من الاستعصاء للداعي، والالتواء لنداء المنادي، بل يأتون أذلاء مقهورين للقيام بين يدي رب العالمين، ﴿خَشِيعَةً أَنْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ﴾.

وذلك أن الذلة والقلق قد ملك قلوبهم، واستولى على أفئدتهم، فخشعت

(٣) فتح القدير، الشوكاني ٦٤٩/٤.

وانظر: معالم التنزيل، البغوي ٢٢٣/٧، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٢١/١٦، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٧٠.

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣١٩/٢٢.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥٥٣/٦.

قويا، والكفر ضعيفا^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد، ذهباً ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه)^(٤).

وفي رواية مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه: قال: كان بين خالد بن الوليد، وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسهب خالد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم، ولا نصيفه)^(٥).

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول لخالد رضي الله عنه ونحوه: (لا تسبوا أصحابي)، يعني عبد الرحمن رضي الله عنه وأمثاله، لأن عبد الرحمن ونحوه هم السابقون الأولون،

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٩/٤٥٣، محاسن التأويل، القاسمي ٩/١٤٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لو كنت متخذاً خليلاً)، رقم ٣٦٧٣، ٨/٥.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، رقم ٢٥٤١، ٤/١٩٦٧.

منهم الأبصار، وسكنت منهم الحركات، وانقطعت الأصوات، فهذه الحال والمآل، هو يومهم ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ولا بد من الوفاء بوعده الله^(١).

ثالثاً: المفاضلة بين الأعمال بسبب الوقت:

ومن اهتمام القرآن بالوقت واعتناؤه به أنه فاضل بين بعض الأعمال بسبب الوقت والتبكير فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَرْثُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِهِمْ وَكَذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

فجعل تعالى النفقة والقتال في سبيله قبل الفتح وهو فتح مكة -وعليه أكثر المفسرين- أو صلح الحديبية، أعظم من نظيريهما مما كان بعد الفتح المذكور^(٢)، وذلك لعظم موقع نصرة الرسول -صلوات الله وسلامه عليه- بالنفس، وإنفاق المال في تلك الحال وذلك الوقت، وفي المسلمين قلة، وفي الكافرين شوكة وكثرة عدد، فكانت الحاجة إلى النصرة والمعاونة أشد، بخلاف ما بعد الفتح، فإن الإسلام صار في ذلك الوقت

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٨٨.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٣٩/١٧.

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح، فكأنما قرب بدنة^(٣))، ومن راح في الساعة الثانية، فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة، فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة، فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة، فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر^(٤)).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله: فكأنما «قرب بدنة» أي: تصدق بها متقرباً إلى الله وقيل: المراد أن للمبادر في أول ساعة نظير ما لصاحب البدنة من الثواب ممن شرع له القربان؛ لأن القربان لم يشرع لهذه الأمة على الكيفية التي كانت للأمم السالفة^(٥)».

وهكذا تظهر فضيلة الوقت في مضاعفة ثواب العمل، وفي ذلك حث للمسلم على حفظ الوقت والتبكير فيه.

وهم الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا، وهم أهل بيعة الرضوان، فهم أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، وبعد مصالحة النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة، ومنهم خالد بن الوليد، وهؤلاء أسبق ممن تأخر إسلامهم إلى فتح مكة، وسموا الطلقاء، منهم أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية. والمقصود أنه نهى من له صحبة آخرًا أن يسب من له صحبة أولًا، لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه، حتى لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه^(١).

ومن تفضيل الأعمال بالوقت قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: (الصلاة على وقتها) قال: ثم أي؟ قال: (بر الوالدين) قال: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله)^(٢)).

وكقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

(٣) البدنة: البعير ذكرًا كان أو أنثى.

انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦٧/٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، رقم ٨٨١، ٣/٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة، رقم ٨٥٠، ٢/٥٨٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦٦/٢.

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ٦٩١/٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، رقم ٥٢٧، ١/١١٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم ٨٥، ١/٩٠.

والطيبات، فالمحب الصادق ربما كان سيره القلبي في حال أكله وشربه، وجماع أهله وراحته، أقوى من سيره البدني في بعض الأحيان^(١).

والآيات في الأمر بعمارة الوقت في طاعة الله أكثر من أن تحصى، منها قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ﴾ **وَالِ رِبَّكَ فَارْغَبْ** (٨) [الشرح: ٧-٨].

وهو أمر من الله لنبيه أصلاً وللمؤمنين تبعاً^(٢) إذا فرغ من أمور الدنيا وأشغالها وقطع عنه علائقها، فلينصب في العبادة، ويقوم إليها نشيطاً فارغ البال، وأن يخلص لربه النية والرغبة^(٣).

والنصب: التعب بعد الاجتهاد، والأمر بالنصب في الآية توجيه عام للأخذ بحظ الأخيرة بعد الفراغ من عمل الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا ۖ﴾ [الإسراء: ٧٩].

وقوله: ﴿إِنَّ نَافِلَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْكَ وَأَقْوَمُ قِيلًا ۖ﴾ [المزمل: ٦].

أي: لأنها وقت الفراغ من عمل النهار وفي سكون الليل، وهكذا يكون وقته كله مشغولاً، إما للدنيا وإما للدين، وفي ذلك حل لمشكلة الفراغ التي شغلت العالم حيث

استثمار الوقت

لقد حث القرآن الكريم على استثمار الوقت، واستغلاله الأمثل بالعمل الصالح النافع، وذلك لأن الإسلام دين العمل والجد والإنتاج، لا دين الكسل والنوم، وسنين من خلال المطلبين التاليين مجالات استثمار الوقت، والتي تتمثل في: عبادة الخالق وعمارة الأرض.

أولاً: عبادة الخالق:

من أشرف الأمور التي يجب على المسلم أن يشغل بها أوقاته ويعمرها به هي عبادته لربه وخالقه الذي خلقه وملك أمره، ويده رزقه وهدايته ومصيره، فعبادة العبد لربه يحصل نجاته وفوزه وسعادته، ويدونها يكون من الأبقين الخاسرين في الدنيا والآخرة.

وعمارة الوقت بالعبادة عند العبد اللبيب الذي فقه معنى العبادة تستغرق جميع الوقت، وذلك كما قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: «وعمارة الوقت الاشتغال في جميع آنائه بما يقرب إلى الله، أو يعين على ذلك من مأكّل أو مشرب، أو منكح، أو منام، أو راحة. فإنه متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله، وتجنب ما يسخطه. كانت من عمارة الوقت، وإن كان له فيها أتم لذة، فلا تحسب عمارة الوقت بهجر اللذات

(١) مدارج السالكين، ابن القيم ١٧/٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٩٢٩.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/٤٣٣.

لم تترك للمسلم فراغا في وقته؛ لأنه إما في عمل للدنيا، وإما في عمل للآخرة^(١).

ومن الآيات التي تحث على توظيف الوقت وإعمارها في تحقيق العبودية لله، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

وهي في الإكثار من ذكر الله تعالى وتسيحه وتعظيمه، وإعمار المؤمن وقته بذلك.

ثانيًا: إعمار الأرض:

من الأمور التي حض القرآن الكريم على استثمار الوقت فيها: عمارة الأرض وإصلاحها.

قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۝﴾ [هود: ٦١].

وقد نهى في المقابل عن الفساد في الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤].

قال أبو بكر الجصاص رحمه الله: «وقوله: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ يعني: أمركم من عمارتها بما تحتاجون إليه وفيه الدلالة على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغراس

والأبنية»^(٢).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي: «جعلكم فيها عمارا تعمرونها وتستغلونها»^(٣).

وقال السعدي: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أي: خلقكم فيها ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي: استخلفكم فيها، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، ومكنكم في الأرض، تبنون، وتغرسون، وتزرعون، وتحثون ما شئتم، وتتفنون بمنافعها، وتستغلون مصالحها، فكما أنه لا شريك له في جميع ذلك، فلا تشركوا به في عبادته. ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ مما صدر منكم، من الكفر، والشرك، والمعاصي، وأقلعوا عنها، ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: ارجعوا إليه بالتوبة النصوح، والإنابة، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ أي: قريب ممن دعاه دعاء مسألة، أو دعاء عبادة، يجيبه بإعطائه سؤله، وقبول عبادته، وإثابته عليها، أجل الثواب»^(٤).

وقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى عمارة الأرض وإصلاحها في أكثر من حديث، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أعمار أرضًا ليست لأحد فهو أحق)^(٥).

(٢) أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص ٣/ ٣١٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٣٣١.

(٤) تفسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٣٨٤.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب

(١) انظر: أضواء البيان، الشنيطي ٨/ ٥٧٨، ٥٧٩.

كما جاء في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل) (٥).

يقول الدكتور وهبة الزحيلي «إن الله سبحانه استخلف البشر في الأرض بقصد عمارة الكون وإنمائه واستغلال كنوزه وثرواته، والناس في ذلك شركاء، والمسلمون ينفذون أمر الله ومقاصده، قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

والاستعمار: معناه التمكين والتسلط، كما هو واضح من قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠].

وقوله عز شأنه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

واللام في ﴿لَكُمْ﴾ تفيد الاختصاص على جهة الانتفاع للمخاطبين، أي: أن ذلك مختص بكم، مما يدل على أن الانتفاع بجميع مخلوقات الأرض، وما فيها من

أكل منه، رقم ٢٣٢٠، ١٠٣/٣، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، رقم ١٥٥٣، ١١٨٩/٣. (٥) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ١٢٩٨١، ٢٩٦/٢٠.

وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم ٣٠٠/١، ١٤٢٤.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «المراد من أعمار أرضا بالإحياء فهو أحق به من غيره وحذف متعلق أحق للعلم به» (١).

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أحيا أرضاً ميتة فهي له) (٢).

والأرض الميتة أي: «التي لم تعمر شبت العمارة بالحياة وتعطيلها بفقد الحياة وإحياء الموات أن يعمد الشخص لأرض لا يعلم تقدم ملك عليها لأحد فيحييها بالسقي أو الزرع أو الغرس أو البناء فتصير بذلك ملكه سواء كانت فيما قرب من العمران أم بعد سواء أذن له الإمام في ذلك أم لم يأذن وهذا قول الجمهور» (٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ، إلا كان له به صدقة) (٤).

المزارعة، باب من أحيا أرضاً مواتاً، رقم ٢٣٣٥، ١٠٦/٣.

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠/٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرفائق والورع، باب في القيامة، رقم ١٣٧٨، ٦٥٤/٣.

وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم ١٠٣٦/٢، ٥٩٧٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨/٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا

معوقات استثمار الوقت

في هذا المبحث نذكر بعض المعوقات في استثمار الوقت مما أشار إليه القرآن الكريم، وذلك لخطورتها في إضاعة الوقت وإذهابه، وبالله التوفيق.

أولاً: طول الأمل:

وأول هذه المعوقات وأخطرها على الوقت والانتفاع به: هو طول الأمل، بمعنى «استشعار طول البقاء في الدنيا حتى يغلب على القلب فيأخذ في العمل بمقتضاه»^(٢). قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: «طول الأمل، وما من آفة أعظم منه، فإنه لولا طول الأمل، ما وقع إهمال أصلاً، وإنما تقدم المعاصي، وتؤخر التوبة، لطول الأمل، وتبادر الشهوات، وتنسى الإنابة، لطول الأمل»^(٣).

وقد ذكره الله تعالى في صفات أهل الكفر والشرك، قال تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَشْتَبِعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

فبين تعالى حالهم في غفلتهم وإضاعتهم لأوقاتهم في الباطل والشهوات، وأن من أسباب ذلك طول أملهم في البقاء في الدنيا

خيرات مأذون فيه، بل مطلوب شرعاً، واعتبر الفقهاء تعلم أصول الحراثة والزراعة ونحوها مما تتم به المعاش التي بها قوام الدين والدنيا من فروض الكفاية^(١).

(٢) انتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول، عبد الله اللحجي ٢/ ٣٧٩.
(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزي ص ٢٠٦.

(١) الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي ٨/ ٦٣٨٧.

قال ابن قدامة: «واعلم: أن السبب في طول الأمل شيان: أحدهما: حب الدنيا، والثاني: الجهل.

أما حب الدنيا فإن الإنسان إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلاقاتها، ثقل على قلبه مفارقتها، فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها، وكل من ذكره شيئاً دفعه عن نفسه، والإنسان مشغول بالأمانى الباطلة، فيمني نفسه أبداً بما يوافق مراده من البقاء في الدنيا، وما يحتاج إليه من مال وأهل ومسكن وأصدقاء وسائر أسباب الدنيا، فيصير قلبه عاكفاً على هذا الفكر، فيلهو عن ذكر الموت، ولا يقدر قربه. فإن خطر له الموت في بعض الأحوال والحاجة إلى الاستعداد له، سوف بذلك ووعد نفسه، وقال: الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب. وإذا كبر قال: إلى أن تصير شيخاً، وإن صار شيخاً، قال: إلى أن يفرغ من بناء هذه الدار، وعمارة هذه الضيعة، أو يرجع من هذه السفرة.

فلا يزال يسوف ويؤخر، ولا يحرص في إتمام شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال، وهكذا على التدرج يؤخر يوماً بعد يوم، ويشتغل بشغل بعد شغل، إلى أن تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه، فتطول عند ذلك حسرته.

السبب الثاني: الجهل، وهو أن الإنسان

وانشغالهم بها، فيلهيهم ذلك عن الآخرة^(١)، ولا يزالون في الآمال الفارغة والتمنيات الباطلة في عدم بعثهم وحسابهم حتى يأتهم أجلهم ويروا من الله ما يوعدون.^(٢)

كما بين تعالى أن المشركين لطول أمل الواحد منهم يود لو عاش ألف سنة، وذلك من حرصه على الحياة الدنيا، وعدم إيمانه بغيرها، فيتمنى لو عاش هذا الوقت ليزداد من الدنيا نعيماً، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِّجٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦].

والسبب في طول الأمل عند هؤلاء، واغترارهم به عدم رجائهم للقاء الله وحسابه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلَيْنَا غَافِلُونَ﴾ [يونس: ٧].

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبا: ٢٧].

ولو علموا يقيناً أنهم محاسبون، وبين يدي الله موقوفون، وأن أعمارهم بيد الله متى شاء أنهاها وقبض أرواحهم، وأن طول العمر - ولو بلغ ما بلغ - مع سوء العمل لا ينفعهم شيئاً، لما اغتروا بذلك.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٢٩.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ١٤٦/٣.

يعول على شبابه، ويستبعد قرب الموت مع الشباب وأصل هذه الأمانى كلها، حب الدنيا والأنس بها، ولو تفكر وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص، من صيف وشتاء وربيع وخريف وليل ونهار، ولا هو مقيد بسن مخصوص، من شاب وشيخ أو كهل أو غيره، لعظم ذلك عنده واستعد للموت^(١).

ثانيًا: الجهل بقيمة الوقت:

ومن أعظم أسباب إضاعة الوقت الجهل بقيمته، ولو فكر الإنسان في أن ما مضى من الوقت لن يعود ولا يعوض، لا غنم كل لحظة من عمره فيما يعود عليه بالنفع عاجلاً وآجلاً، وقد قال الله تعالى في حق المال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النساء: ٥].

وذلك لأن السفیه لا يعرف قيمة المال، ولا يحسن التصرف فيه فيضيعه، فمن لم يعرف قيمة الشيء تهاون فيه وضيعه، وأما الوقت فما أكثر السفهاء في حقه، من الذين يضيعون أعمارهم وأوقاتهم في الباطل واللغو واللعب وتفاهاات الأمور، ومن هؤلاء الجاهلين لقيمة الوقت، المضيعين له، أهل الكفر والشرك.

قال تعالى: ﴿قَدْ كُنْتُمْ لِشْتِ فِي الْأَرْضِ عَدَّةً سِنِينَ﴾ ١٣٣ ﴿قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلَّ الْعَادِينَ﴾ ١٣٤ ﴿قَدْ لَنْ لَيْتُنَا إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى منبها لهم على ما أضاعوه في عمرهم القصير في الدنيا من طاعة الله تعالى وعبادته وحده كم كانت إقامتكم في الدنيا؟ ﴿قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلَّ الْعَادِينَ﴾ أي: الحاسيين، ﴿قَدْ لَنْ لَيْتُنَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: مدة يسيرة على كل تقدير ﴿لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: لما آثرتم الفاني على الباقي، ولما تصرفتم لأنفسكم هذا التصرف السيئ، ولا استحققتكم من الله سخطه في تلك المدة اليسيرة، ولو أنكم صبرتم على طاعة الله وعبادته-كما فعل المؤمنون-لفزتم كما فازوا^(٢).

إن من أسباب إهدار الكفار لأوقاتهم وعدم مبالاتهم بها هو جهلهم بقيمة هذه الحياة، وأنها دار ممر لا دار مقر، دار عمل وجِد ليوم الحساب لا دار لهو ولعب، ولذلك جاء بعد تلك الآيات قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

«أي: تعاضم وارتفع عن هذا الظن الباطل، الذي يرجع إلى القدح في حكمته»^(٣).

ويوضح الفرق بين وعي أهل الإيمان والعلم حول خطورة الوقت، وبين غيرهم،

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ٥٠٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥٦٠.

(١) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي ص ٣٨٦.

ينظروا حتى يعذر إليهم»^(٢).

وهكذا يظهر في هذا الموقف العصيب جهل أهل الكفر بحقائق الأمور، وهو جهل ناتج عن كفرهم بما جاءت به الرسل عليهم السلام من الإيمان بالبعث، حتى صار ذلك اعتقاداً راسخاً في قلوبهم، كما قال تعالى في الآية: ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: «وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن»^(٣)، فالاستدراك في الآية استدراك على ما تضمنته جملة ﴿لَقَدْ لَيِّنْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعثِ﴾^(٤).

وهكذا تظهر خطورة الجهل بقيمة الوقت في تضييعه وعدم الانتفاع به، فأهل الكفر والطغيان لم يعلموا قيمة حياتهم في هذه الدنيا فضيعوها هباءً منثوراً.

ثالثاً: ضعف الإرادة والعزيمة:

من أهم أسباب استغلال الوقت والانتفاع به وجود الإرادة القوية والعزيمة الصادقة، وبدونهما يضيع الوقت هباءً منثوراً، وكلما قويت إرادة العبد واشتدت عزمته كلما استثمر أكبر قدر من الوقت، والعكس صحيح، فكلما ضعفت هذه الإرادة وقلت العزيمة كلما ضاعت الأوقات سدى. وقد أشار الله تعالى إلى لزوم تحقق

هذا المشهد القرآني الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُسْأَلُنِي عَنْ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾^(٥) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^(٦) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ^(٧) [الروم: ٥٥-٥٧].

فبين تعالى أن أهل الكفر والإجرام في حقه إذا حشروا يوم القيامة فإنهم يستقلون وقت مكثهم في الدنيا، حتى كأنه قدر ساعة عندهم^(١).

وأما أهل الإيمان والعلم فيعلمون أنهم مكثوا في ذلك أعمارهم التي كتب الله لهم، إلى أن بعثهم الله ليوم الحساب، ولذلك ينكرون على أهل الكفر مقالتهن، ويبينون لهم أن سببها جهلهم بقيمة أعمارهم، وعدم إيمانهم بيوم الحساب.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «يخبر الله تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الأصنام، وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضاً، فمنه إقسامهم بالله أنهم ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة واحدة، ومقصودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم، وأنهم لم

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٣٢٨.

(٣) تفسير البسيط، الواحدي ١٨/ ٨٦.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢١/ ١٣٢.

(١) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٢/ ١٥٧.

الإرادة في الانتفاع بالوقت.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَنۢ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

فأخبر تعالى أنه جعل الليل والنهار متعاقبين يخلف أحدهما الآخر^(١)، لمن يريد أن يتذكر بهما ويعتبر، ولما يحدثه تعاقبهما من النشاط والذكر، وإذهاب الملالة التي قد تصاحب العبادة إذا لم يتغير الزمان، فكلما تكررت الأوقات واختلفت تجدد في النفس النشاط والقوة على العبادة من جديد^(٢)، وقد خص الله الانتفاع بذلك لمن كانت لديه إرادة قوية، وعزيمة صادقة، أو رغبة في شكر الخالق تعالى.

كما ذكر تعالى مثلاً عملياً في إضاعة الوقت بسبب ضعف الإرادة أو عدم وجودها بالكلية، قال تعالى عن المتخلفين من المنافقين عن الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

أي: لو كانوا صادقين فيما يدعونه - ويخبرونك به - من أنهم يريدون الجهاد معك، لما تركوا إعداد العدة، وتحصيلها قبل

(١) تفسير المراغي ١٩/ ٣٣.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥٨٦.

وقت الجهاد كما يستعد لذلك المؤمنون^(٣). ولكنهم لم يريدوا الخروج إلى الغزو، وهذا تكذيب لزعمهم أنهم تهيؤوا للغزو ثم عرضت لهم الأعذار فاستأذنوا في القعود؛ لأن عدم إعدادهم العدة للجهاد دل على انتفاء إرادتهم الخروج إلى الغزو^(٤).

وهكذا أضع هؤلاء المتخلفون فرصة الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقضاء الوقت في ذلك العمل العظيم، بسبب عدم تحقق إرادتهم في ذلك.

كما ذكر تعالى أيضاً مثلاً آخر لاستثمار الوقت والانتفاع به بسبب صحة الإرادة وقوتها، قال تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَقْرُؤْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْعَيْشِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وقوله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْعَيْشِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

فبين تعالى أنهم يريدون وجه الله ورضاه، فلذلك يدعونه ويستثمرون أوقاتهم صباحاً ومساءً في الطاعات.

رابعاً: نسيان الآخرة:

من أهم معوقات استثمار الوقت نسيان

(٣) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٢/ ٤١٨.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٠/ ٢١٤.

حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم ونعمهم التي أنعمها عليهم فيها في أبدانهم، وأجسامهم، ومطاعمهم، ومشاربهم، وملابسهم وغير ذلك من نعمه عندهم، ومسألته إياهم ماذا عملوا فيها، وهل أطاعوه فيها، فانتهوا إلى أمره ونهيه في جميعها، أم عصوه فخالفوا أمره فيها؟

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ يقول: وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة، وعن دنو محاسبته إياهم منهم، واقترابه لهم في سهو وغفلة، وقد أعرضوا عن ذلك، فتركوا الفكر فيه، والاستعداد له، والتأهب، جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء، وشديد الأهوال^(٢).

وقال الحافظ ابن كثير: «هذا تنبيه من الله عز وجل، على اقتراب الساعة ودنوها، وأن الناس في غفلة عنها، أي: لا يعملون لها، ولا يستعدون من أجلها»^(٣).

وقد أخبرنا المولى تعالى عن قصة صاحب الجنتين، الذي حمله الغرور بالدنيا وانغمسه في متاعها على الغفلة عن البعث ونسيانه، وبذلك استحق سخط الله وأليم عقابه.

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾^(٤)

الآخرة وما أعدّه الله تعالى فيها من النعيم المقيم لمن أطاعه والتزم أوامره، وما توعده به من العذاب الأليم الدائم لمن عصاه وخالف أوامره، فترك العبد العمل لها، ويضيع أوقاته في الشهوات والملهيات، كما قال تعالى في وصف حال الكفار: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْغَيْبَةُ الْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِتَابِعِينَ يَجْحَدُونَ﴾^(٥) [الأعراف: ٥١].

فوصف الله تعالى حالهم في اتخاذهم الدين لهوا ولعبا، واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفها عما أمروا به من العمل للدار الآخرة، ثم أخبر تعالى بأن عقابهم يكون من جنس عملهم، فكما نسوا الآخرة وغفلوا عنها، فسيعاملهم معاملة من ينساهم، ويتركهم في العذاب^(١).

وكما وصف الله تعالى حال أهل الغفلة من خلقه فقال: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾^(١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَصْغَوْا وَهُمْ يَلْعَبُونَ^(٢) [الأنبياء: ١-٣].

فبين تعالى حالهم في لهوهم ولعبهم وإضاعتهم أوقاتهم بسبب غفلتهم عن حسابهم ونسيان آخرتهم، قال الإمام الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: دنا

(٢) جامع البيان، الطبري ١٨/٤٠٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/٣٣١.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/٤٢٤.

وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ
إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾

[الكهف: ٣٥-٣٦].

والمعنى: «هذا الذي جعلنا له جنتين من
أعناب ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ وهي بستانه ﴿وَهُوَ
ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ وظلمه نفسه: كفره بالبعث،
وشكه في قيام الساعة، ونسيانه المعاد إلى
الله تعالى، فأوجب لها بذلك سخط الله
وأليم عقابه، وقوله: ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ
أَبَدًا﴾ أي: قال لما عاين جنته، ورآها وما
فيها من الأشجار والثمار والزرع والأنهار
المطرودة شكًا في المعاد إلى الله: ما أظن أن
تبيد هذه الجنة أبدًا، ولا تفنى ولا تخرب،
وما أظن الساعة التي وعد الله خلقه الحشر
فيها تقوم فتحدث، ثم تمنى أمنية أخرى
على شك منه، فقال: ﴿وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾
فرجعت إليه، وهو غير موقن أنه راجع إليه
﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ يقول: لأجدن
خيرًا من جنتي هذه عند الله إن رددت إليه
مرجعًا ومردًا^(١).

وقد بين الله تعالى بعض الملهيات التي
تنسي الدار الآخرة والاستعداد لها.

قال تعالى: ﴿الْمَنكُمُ التَّكَاثُرُ ۖ حَتَّىٰ
رُدُّمُ الْمَقَابِرَ ۚ﴾ [التكاثر: ١-٢].

أي: «شغلتكم المباهاة والمفاخرة بكثرة
المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم

(١) جامع البيان، الطبري، بتصرف يسير ٢٢/١٨.

من سخطه»^(٢)، «وقيل ألهاكم: أنساكم»^(٣).
قال الإمام ابن قيم الجوزية: «ولم يعين
سبحانه المتكاثر به بل ترك ذكره، إما لأن
المذموم هو نفس التكاثر بالشيء لا المتكاثر
به، كما يقال: شغلك اللعب واللهو. ولم
يذكر ما يلعب ويلهو به، وإما إرادة الإطلاق
وهو كل ما تكاثر به العبد غيره من أسباب
الدنيا من مال أو جاه أو عبيد أو إماء أو بناء
أو غراس أو علم لا يبتغي به وجه الله أو
عمل لا يقربه إلى الله فكل هذا من التكاثر
الملهي عن الله والدار الآخرة»^(٤).

وقال ابن كثير: يقول تعالى: شغلکم
حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب
الآخرة وابتغائها، وتمادي بكم ذلك حتى
جاءكم الموت وزرتم المقابر، وصرتم من
أهلها؟!^(٥)، وكما في قوله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ
يَاكُلُوا وَيشتمون وَيَلهيهم الأمل فسوف
يعلمون﴾ [الحجر: ٣].

وقد تقدم الكلام عليه، وكما حذر تعالى
عباده المؤمنين من ذلك كما في قوله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا
أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

(٢) معالم التنزيل، البغوي ٥١٥/٨

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٦٨/٢٠.

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم
ص ١٨٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٧٢/٨.

الوقت في الأحكام الشرعية

اعتنت الشريعة الإسلامية عناية كبيرة بالوقت، حيث ربطت بين العديد من التشريعات والوقت، كما حرصت على غرس مفهوم العناية بالوقت، وتثبيته في نفوس المؤمنين، وعلى تربيتهم على مراقبة الوقت وحفظه، وبذلك تثمر الشريعة الإسلامية والالتزام بها أجيالاً صالحة على مر القرون حتى يرث الله الأرض ومن عليها، تتصف بأكبر قدر من المسؤولية والانضباط، ولا تعرف للكسل والبلادة والفوضى والعشوائية طريقاً.

وفي النقاط الآتية سنذكر بعض الشواهد التي تدل على الارتباط الوثيق بين الوقت والكثير من التشريعات المختلفة في مجال العبادات، والكفارات، والمعاملات، وأحكام الأسرة، والآداب، والأذكار، والأدعية.

أولاً: العبادات:

ارتبطت العديد من العبادات بالوقت، وسيحدث في هذا المطلب عن بعض العبادات التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوقت.

١. الصلاة.

وهي من أعظم الأمور التي تضبط للمؤمن وقته وتنظمه، وقد افترض الله تعالى على المؤمن خمس صلوات في

وهو في نهى المؤمنين عن التشبه بالمنافقين، أي: لا تشغلكم أموالكم التي تعتنون بجمعها وتحصيلها، ولا أولادكم الذين هم أشهى ثمرات حياتكم، لا يشغلكم ذلك عن أداء ما كلفكم سبحانه بأدائه من طاعات، وخص الأموال والأولاد بتوجه النهي عن الاشتغال بهما اشتغالاً يلهي عن ذكر الله، لأنهما أكثر الأشياء التي تلهي عن طاعة الله تعالى^(١).

(١) انظر: الوسيط، محمد سيد طنطاوي
٤١٣/١٤.

اليوم واللييلة، تبدأ بصلاة الفجر، وفيه تعويد للمؤمن على الجد والنشاط، والاهتمام بوقت الصباح، وهو وقت مبارك، كما جاء في الحديث، عن صخر الغامدي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم بارك لأمتي في بكورها)^(١).

ثم تأتي صلاة الظهر ثم العصر في وسط اليوم ثم المغرب ثم العشاء في آخر اليوم. قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۚ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧-١٨].

ذهب جماعة من المفسرين إلى أن المراد بالتسبيح في هذه الآية الصلاة، وأشار بقوله: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ إلى صلاة المغرب والعشاء، وبقوله: ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ إلى صلاة الصبح، ويقول: ﴿وَعَشِيًّا﴾ إلى صلاة العصر، ويقول: ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ إلى صلاة الظهر^(٢).

وفي هذه الصلوات تنبيه للمؤمن في كل

حين، وإيقاظ لحسه بالوقت وساعاته، ثم إن فيها تدريباً له على الانضباط به، وذلك لأن هذه الصلوات لها أوقاً محددة مضبوطة لا يجوز تقديمها أو تأخيرها عنها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

أي: مفروضة في وقتها، لا تصح إلا به^(٣)، وقال سبحانه: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال ناهياً عن إضاعته، ومتوعداً من تهاون فيها: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ [مريم: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥].

وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: (سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: (الصلاة على وقتها) قال: ثم أي؟ قال: (بر الوالدين) قال: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله)^(٤).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٩٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، رقم ٥٢٧، ١١٢/١، ومسلم في صحيحه، كتاب

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب البيوع، باب ما جاء في التبكير بالتجارة، رقم ١٢١٢، ٥٠٩/٣.

وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم ٢٧٨/١، ١٢٩٦.

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي ١/ ٢٨٠. وانظر: جامع البيان، الطبري ٨٣/٢٠، معاني القرآن، الفراء ٣٢٣/٢، تفسير السمرقندي ٨/٣.

٢. الزكاة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ
وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِ وَالْمَوْلَفَةِ قُلُوبِهِمْ
وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].

وقد بينت السنة وجوب الزكاة في المال الذي بلغ النصاب، وحال عليه الحول، وأنه ليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول. عن علي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فإذا كانت لك مائتا درهم، وحال عليها الحول، ففيها خمسة دراهم، وليس عليك شيء - يعني - في الذهب حتى يكون لك عشرون دينارًا، فإذا كان لك عشرون دينارًا، وحال عليها الحول، ففيها نصف دينار، فما زاد، فبحسب ذلك) ^(١).

أما الزروع فتخرج زكاتها وقت الحصاد قال تعالى: ﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ
وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُشْرِقُوا إِلَيْهِ لَا
يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

قال السعدي رحمه الله: «أمرهم أن

يعطوها يوم حصادها، وذلك لأن حصاد الزرع بمنزلة حولان الحول، لأنه الوقت الذي تشوف إليه نفوس الفقراء، ويسهل حيثئذ إخراجه على أهل الزرع، ويكون الأمر فيها ظاهرًا لمن أخرجها، حتى يتميز المخرج ممن لا يخرج» ^(٢).

وهكذا يراقب المؤمن الوقت في زكاته، فإذا حان وقت الحصاد أدى زكاة زروعه، وإذا حال الحول على أمواله إذا كانت من أصناف الزكاة، دفع زكاته منها. أما زكاة الفطر فقد ورد ذكرها في حديث عبدالله بن عمر: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض زكاة الفطر من رمضان صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير، على كل حرٍ أو عبدٍ ذكرٍ أو أنثى من المسلمين) ^(٣). وبينت السنة وقت زكاة الفطر، وأنها تؤدي قبل صلاة العيد كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة) ^(٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢٧٦.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٩/ ٢٤٣.

وصححه الألباني في كتابه الإرواء ٣/ ٢١٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل العيد، رقم ١٥٠٩، ١٣١/٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الأمر بإخراج زكاة الفطر قبل الصلاة، رقم ٩٨٦، ٢/ ٦٧٩.

الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم ٨٥، ٩٠/١.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، رقم ١٥٧٣، ١٠٠/٢. وصححه الألباني في صحيح أبي داود، الأم، ٢/ ٢٩١.

٣. الصيام.

وقد بين الله تعالى وقته الواجب من كل عام وهو شهر رمضان، فقال عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وبين النبي صلى الله عليه وسلم علامة بدء هذا الشهر المبارك بظهور الهلال، كما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غيبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين)^(١).

كما بين تعالى وقت الصيام المحدد من كل يوم من أيام الشهر فقال سبحانه: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى الْإِيلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

(١) قوله صلى الله عليه وسلم: (فإن غيبي عليكم). أي: خفي. وأخرجه بعضهم (غبي) بضم الغين وتشديد الباء المكسورة، لما لم يسم فاعله، من الغباء: شبه الغبرة في السماء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣/ ٣٤٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا)، رقم ١٩٠٩، ٢٧/٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، رقم ١٠٨١، ٧٦٢/٢.

أي: أباح تعالى للمؤمنين الأكل والشرب، في أي وقت من الليل إلى أن يتبين ضياء الصباح من سواد الليل^(٣)، وهو وقت أذان الفجر، فيمسك الصائم من أذان الفجر إلى وقت أذان المغرب، عند غروب الشمس، وهكذا يظل الصائم يراقب الوقت في إمساكه وإفطاره، وأيضا فقد بينت السنة الأوقات المستحبة في الصيام، كصيام ستة أيام من شوال، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء، ويومي الإثنين والخميس، وغير ذلك مما يستدعي مراقبة الوقت والسؤال عنه.

٤. الحج.

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].
كما بين تعالى أن للحج أوقات معينة معلومة لا يؤدي الحج في غيرها، قال تعالى: ﴿الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٧].
«وهي شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة، وقيل: كله»^(٤).

والاقتصار على الحج دون العمرة في الآيتين، لأن العمرة لا وقت لها في فعلها، فلهذا لم يذكرها في الآية^(٥).

وهكذا يظل المؤمن في متابعة لأشهر العام، هذا شهر الصيام وذاك شهر الحج، وهكذا.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٥١٢.
(٤) تفسير الجلالين، المحلي والسيوطي ص ٤٢.
(٥) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢/ ١٩٦.

وكل ذلك مما يشهد لاعتبار الوقت في أمر الكفارات وانضباطها به.

٢. كفارة القتل.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانُ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ٩٢﴾ [النساء: ٩٢].

وقوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ هذان واجبان في قتل الخطأ:

أحدهما: الكفارة لما ارتكبه من الذنب العظيم، وإن كان خطأ، ومن شرطها أن تكون عتق رقبة مؤمنة فلا تجزئ الكافرة.

وقوله: ﴿وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ هو الواجب الثاني فيما بين القاتل وأهل القتل، عوضاً لهم عما فاتهم من قريبتهم.

وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ أي: فتجب فيه الدية مسلمة إلى أهله إلا أن يتصدقوا بها فلا تجب.

وقوله: ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾

ثانيًا: الكفارات:

ارتبطت العديد من الكفارات بالوقت، ومن هذه الكفارات التي ارتبطت بالوقت: ١. كفارة اليمين.

ومن اعتبار الوقت في الكفارات ما جاء في كفارة اليمين في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَلَفْتُمْهُ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٨٩﴾ [المائدة: ٨٩].

فبين تعالى أن كفارة اليمين المنعقدة الموثقة بالقصد والنية إذا حث صاحبها فيها تكون بإحدى ثلاثة أمور على التخيير بينها، وهي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم من أوسط ما يطعم الحائث في يمينه أهله، والمراد بالوسط هنا: المتوسط بين طرفي الإسراف والتقتير، أو أن يعتق رقبة، ثم بين تعالى ما ينبغي فعله على الحائث الذي لم يجد شيئاً من الأمور المذكورة، وأنه يصوم ثلاثة أيام، فيكون صيامه كفارة لحنثه في اليمين، وقد اختلف العلماء في صيام هذه الثلاثة أيام في كفارة اليمين، هل يكون متتابعاً أم متفرقاً، على قولين في ذلك^(١).

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٢/ ٨٢-٨٣.

أي: إذا كان القتل مؤمناً، ولكن أولياؤه من الكفار أهل حرب، فلا دية لهم، وعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة لا غير.

وقوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ. وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ أي: فإن كان القاتل أولياؤه أهل ذمة أو هدنة، فلهم دية قتلهم، فإن كان مؤمناً فدية كاملة، وكذا إن كان كافراً أيضاً عند طائفة من العلماء. ويجب أيضاً على القاتل تحرير رقبة مؤمنة.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ أي: لا إفتار بينهما، بل يسرد صومهما إلى آخرهما، فإن أفطر من غير عذر، من مرض أو حيض أو نفاس، استأنف. وقوله: ﴿تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: هذه توبة القاتل خطأ إذا لم يجد العتق صام شهرين متتابعين^(١).

٣. كفارة الظهار.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَأَطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينَ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَلِدْ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٤].

«عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَالَّذِينَ

يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ [المجادلة: ٣].

فهو الرجل يقول لامرأته: أنت علي كظهر أمي، فإذا قال ذلك، فليس يحل له أن يقربها بنكاح ولا غيره حتى يكفر عن يمينه بعتق رقبة، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ والمس: النكاح، ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَأَطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينَ﴾^(٢) ثالثاً: المعاملات:

ارتبطت العديد من المعاملات بالوقت، وسوف نذكر نماذج من هذه المعاملات التي ارتبطت بالوقت.

١. الدين.

بين تعالى أحكام الدين في آية الدين، وهي أطول آية في القرآن، وبين فيها اعتبار الوقت في الدين وضبطه به، قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُمُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فأمر الله تعالى المؤمنين إذا دأب بعضهم بعضاً إلى موعد «محدد بالأيام والشهور والسنة ونحوها مما يفيد العلم، لا بالحصاد وقدم الحاج مما فيه جهالة»^(٣)، فأمرهم تعالى في هذه «الحقوق المؤجلة بالكتابة والإشهاد، حفظاً منه للأموال»^(٤)، وحتى لا

(٢) جامع البيان، الطبري ٢٣/ ٢٣١.

(٣) تفسير المراغي ٣/ ٧٠.

(٤) التفسير البسيط، الواحدي ٤/ ٤٨٥.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٧٤-٣٧٦.

عليه السلام مع صاحب مدين^(٤).
قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ
إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِجٌ
فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ
أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧].

أي: قال صاحب مدين وهو «أبو
المرأتين اللتين سقى لهما موسى: إني أريد
أن أزوجك إحدى ابنتي الحاضرتين أمامك،
فانظر من يقع اختيارك عليها منهما، على
أن تكون أجيراً لي ثماني سنوات ترعى
لي فيها غنمي، فإن أتممت الثماني السنين
التي شرطتها عليك فجعلتها عشراً فإحسان
من عندك، وما أحب أن أشاقك بمناقشة أو
مراعاة أوقات ولا إتمام عشر ولا غير ذلك،
وإنك ستجدني إن شاء الله ممن تحسن
صحبتهم ويوفون بما تريد من خير لك
ولنا»^(٥).

(٤) اختلف المفسرون فيه من هو؟ على أقوال،
فمنهم من قال: إنه شعيب النبي عليه السلام
الذي أرسل إلى أهل مدين، وهذا هو المشهور
عند كثيرين، وقيل: هو رجل مؤمن من قوم
شعيب. قال الحافظ ابن كثير: من المقوي
لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن
ينص على اسمه في القرآن هاهنا. وما جاء في
بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة
موسى لم يصح إسناده، والله أعلم.
انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير
٢٢٨/٦ - ٢٢٩/٦.
(٥) تفسير المراغي ٥٢/٢٠.

يقع فيه الشك والاختلاف والإنكار، كما بين
تعالى ذلك في قوله: ﴿وَلَا تَسْمَوْنَ أَنْ تَكْنُوهُ
صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَٰهَ أَجْلِهِ ذَلِكُمْ أَفْسَطُ
عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدَقُّ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾
[البقرة: ٢٨٢].

وفي كتابة الدين وتوقيته بأجل معين
إلزام للمدين بأدائه، وهكذا يظل المؤمن
في مراقبة للوقت، سواء أكان دائناً لاستيفاء
حقه، أو مديناً لأداء ما عليه.

٢. الإجازات.

وهي من الأمور التي يعتبر فيها الوقت،
بل هو من شروط صحتها عند الفقهاء،
فالإجارة في الشرع هي: عقد على تملك
المنفعة بعوض^(١)، يتفق عليه الطرفان في
عقد الإجارة: المؤجر والمستأجر، وقد
اشتراط الفقهاء لصحة عقد الإجارة شروطاً،
منها أن يبين فيه مدة الإجارة كشهر أو سنة أو
أكثر أو أقل^(٢)، وذلك «لأن المعقود عليه لا
يصير معلوم القدر بدونه، فترك بيانه يفضي
إلى المنازعة»^(٣).

ومما يدل على ارتباط الإجارة بالوقت
ما ذكره الله تعالى في كتابه في قصة موسى

(١) انظر: التعريفات، الجرجاني ص ١٠، أنيس
الفقهاء، القونوي ص ٩٦.
(٢) انظر: فقه السنة، سيد سابق ٣/ ١٨١.
(٣) الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي
٣٨٠٩/٥.

٣. المواثيق والعهود.

أمر الله تعالى بالوفاء بالعهود والالتزام بها.

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

«والعقود: العهود، وأصل العقود الربوط، واحدها عقد، يقال: عقدت الحبل والعهد، فهو يستعمل في الأجسام والمعاني، وإذا استعمل في المعاني كما هنا أفاد أنه شديد الإحكام، قوي التوثيق قيل: المراد بالعقود هي التي عقدها الله على عباده، وألزمهم بها من الأحكام وقيل: هي العقود التي يعقدونها بينهم من عقود المعاملات، والأولى شمول الآية للأمرين جميعاً، ولا وجه لتخصيص بعضها دون بعض»^(١).

قال أبو السعود: «والمراد بالعقود ما يعم جميع ما ألزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف والأحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به»^(٢).

وقال السعدي: «هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود، أي: بإكمالها، وإتمامها، وعدم

نقضها ونقصها. وهذا شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه، من التزام عبوديته، والقيام بها أتم قيام، وعدم الانتقاص من حقوقها شيئاً، والتي بينه وبين الرسول بطاعته واتباعه، والتي بينه وبين الوالدين والأقارب، ببرهم وصلتهم، وعدم قطيعتهم. والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة في الغنى والفقر، واليسر والعسر، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات، كالبيع والإجارة، ونحوهما، وعقود التبرعات كالهبة ونحوها.

بل والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] بالتناصر على الحق، والتعاون عليه والتآلف بين المسلمين وعدم التقاطع. فهذا الأمر شامل لأصول الدين وفروعه، فكلها داخلة في العقود التي أمر الله بالقيام بها»^(٣).

ويكون الوقت ملزماً في العهود التي يلزم المتعاهد نفسه بأدائها في وقت معين، كما جاء في قصة موسى مع صاحب مدين، فقد وفى موسى لصاحب مدين في ما عاهده به من الرعي طيلة المدة التي طلبها منه في ذلك، بل وزاد عليها، كما بين ذلك تعالى في قوله: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ نَقُورٌ

(١) فتح القدير، الشوكاني ٦/٢.

(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢/٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢١٨.

وَكَيْدٌ ﴿٢٨﴾ [القصص: ٢٨].

الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا لِمَتِهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ [التوبة: ٣-٤].

رابعًا: أحكام الأسرة:

١. العِدَّة.

ومنها: عدة المطلقة.

قال الله تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ [الطلاق: ١].

قال السعدي رحمه الله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾: «أي: لأجل عدتهن، بأن يطلقها زوجها وهي طاهر في طهر لم يجامعها فيه، فهذا الطلاق هو الذي تكون العدة فيه واضحة بينة، بخلاف ما لو طلقها وهي حائض، فإنها لا تحتسب تلك الحيضة، التي وقع فيها الطلاق، وتطول عليها العدة بسبب ذلك، وكذلك لو طلقها في طهر وطئ فيه، فإنه لا يؤمن حملها، فلا يتبين ولا يتضح بأي عدة تعتد، وأمر تعالى بإحصاء العدة، أي: ضبطها بالحيض إن كانت تحيض، أو بالأشهر إن لم تكن تحيض، وليست حاملا فإن في إحصائها أداء لحق الله، وحق الزوج المطلق، وحق من سيتزوجها بعد، وحقها في النفقة ونحوها، فإذا ضبطت عدتها، علمت حالها على بصيرة، وعلم ما يترتب

وهو إخبار عن موسى، أنه قال لصهره صاحب مدين: الأمر على ما قلت من أنك استأجرتني على ثماني سنين، فإن أتممت عشرا فمن عندي، فأنا متى فعلت أقلهما فقد برئت من العهد، وخرجت من الشرط؛ وقد فعل موسى أكمل الأجلين وأتمهما^(١)، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩].

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما: أي الأجلين قضى موسى؟ فقال: «قضى أكثرهما وأطيهما، إن رسول الله إذا قال فعل^(٢)»، وهكذا نلاحظ في وفاء موسى للعهد اعتبار الوقت، وهكذا يلاحظ المسلم الوقت ويراقبه في عهوده حتى لا يؤخر أداؤها عن وقتها، أو يتخلف في ذلك. إن الوفاء بالعهود والمواثيق إلى مدتها واجب حتي مع الكفار والأعداء.

قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تُولِيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [٢].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٢٣٠.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، رقم ١٨١١/٣، ٢٦٨٤.

عليها من الحقوق، وما لها منها، وهذا الأمر بإحصاء العدة، يتوجه للزوج وللمرأة، إن كانت مكلفة، وإلا فلوليها»^(١).

وقد بين الله تعالى العدد التي يجب على المرأة المطلقة أن تعتدها وأنوعها، فمنها عدة المطلقة المدخول بها، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَرْتَضِعُ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

أي: لينتظرن عن النكاح ثلاثة قروء تمضي من حين الطلاق، والقروء: جمع قرء بفتح القاف وهو الطهر أو الحيض قولان للعلماء، وهذا في المدخول بهن أما غير المدخول بهن فلا عدة عليهن؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

أما الأيسة والصغيرة فعدتهن ثلاثة أشهر، وأما الحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن^(٢).

قال تعالى: ﴿وَالَّتِي يَبْسُنُ مِنَ الْمَجِيزِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].

ومنها: عدة المتوفى عنها زوجها.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٦٩.

(٢) انظر: تفسير الجلالين، المحلي والسيوطي ص ٤٩.

أَرْوَجًا يَرْتَضِعُ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ [البقرة: ٢٣٤].

«أي: إذا توفي الزوج مكثت زوجته متربصة أربعة أشهر وعشرة أيام وجوبًا، والحكمة من ذلك، ليتبين الحمل في مدة الأربعة، ويتحرك في ابتدائه في الشهر الخامس، وهذا العام مخصوص بالحوامل، فإن عدتهن بوضع الحمل، وكذلك الأمة عدتها على النصف من عدة الحرة، شهران وخمسة أيام.

وقوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ أي: من مراجعتها للزينة والطيب، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: على وجه غير محرم ولا مكروه. وفي هذا وجوب الإحداد مدة العدة، على المتوفى عنها زوجها، دون غيرها من المطلقات والمفارقات، وهو مجمع عليه بين العلماء.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: عالم بأعمالكم، ظاهرها وباطنها، جليلها وخفيها، فمجازيكم عليها.

وفي خطابه للأولياء بقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ دليل على أن الولي ينظر على المرأة، ويمنعها مما لا يجوز فعله ويجبرها على ما يجب، وأنه

مخاطب بذلك، واجب عليه»^(١).

٢. الإيلاء.

وهو «اليمين على ترك وطئ المنكوحة مدة مثل: والله لا أجامعك أربعة أشهر»^(٢).

وقد بين الله حكمه في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلِّونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦].

قال الحافظ ابن كثير: «الإيلاء: الحلف، فإذا حلف الرجل ألا يجامع زوجته مدة، فلا يخلو: إما أن يكون أقل من أربعة أشهر، أو أكثر منها، فإن كانت أقل، فله أن ينتظر انقضاء المدة ثم يجامع امرأته، وعليها أن تصبر، وليس لها مطالبة بالفيئة في هذه المدة، عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آلى من نسائه شهراً، فنزل لتسع وعشرين، وقال: (الشهر تسع وعشرون)»^(٣).

فأما إن زادت المدة على أربعة أشهر، فللزوجة مطالبة الزوج عند انقضاء أربعة أشهر: إما أن يفىء - أي: يجامع - وإما أن يطلق، فيجبره الحاكم على هذا أو هذا لئلا يضر بها، ولهذا قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلِّونَ﴾

أي: يحلفون على ترك الجماع من نسائهم، ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ أي: ينتظر الزوج أربعة أشهر من حين الحلف، ثم يوقف ويطالب بالفيئة أو الطلاق. ولهذا قال: ﴿فَإِنْ فَاءُوا﴾ أي: رجعوا إلى ما كانوا عليه، وهو كناية عن الجماع، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لما سلف من التقصير في حقهن بسبب اليمين»^(٤).

٣. الحمل والإرضاع.

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقال أيضاً: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَى الْآخِرِ﴾ [لقمان: ١٤].

فبين تعالى أن مدة فصال المولود - أي: تربيته وإرضاعه بعد وضعه - في عامين، كما قال تعالى: ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْعِمَ الرِّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

ومن هاهنا استنبط ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من الأئمة، أن أقل مدة الحمل ستة أشهر؛ لأن الله تعالى قال في الآية الأخرى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٠٤.

(٢) التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان ص ٤٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق،

باب قول الله تعالى: (لِلَّذِينَ يُؤَلِّونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ)، رقم ٥٢٨٩، ٥٠ / ٧.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، بتصرف واختصار ٦٠٤ / ١.

وذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلاً ونهاراً، ليذكر الولد بإحسانها المتقدم إليه. كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]. ولهذا قال: ﴿إِنْ أَشْكُرْ لِي وَلَوْلَاكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ أي: فإني سأجزيك على ذلك أوفر الجزاء^(١).

[انظر: الأجل: الأجل في العبادات والمعاملات]

خامساً: الآداب:

١. الزيارة.

جاء اعتبار الوقت في الزيارة في الشرع في عدة أمور، كما أشار تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبِزٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسْتَجِبِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَكُونُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فأمر الله تعالى عباده المؤمنين، بالتأدب

مع نبيه صلى الله عليه وسلم في دخولهم لبيوته، وذلك بألا يدخلوها إلا بعد استئذان وإذن، وإذا كان دخولهم استجابة لدعوة إلى طعام، فلا يتعجلوا في الحضور قبل أن ينضج الطعام، وذلك حتى لا يطول مكثهم في بيت النبي صلى الله عليه وسلم^(٢) ويكون ثقیلاً عليه.

كما قال تعالى: ﴿غَيْرَ نَبِزٍ إِنَّهُ﴾ يعني: «غير متظرين إدراكه وبلوغه»^(٣)، أي: أنهم مع كونهم مأذوناً لهم ومدعوين، فلا يدخلوا قبل الميعاد المضروب لهم حضورهم فيه، عجلة وانتظاراً منهم لنضج الطعام، فإن ذلك مما يؤذي قلب صاحب الدعوة، لشغل هذه الحصة معهم بلا فائدة، إلا ضيق صدر الداعي وأهله، وشغل وقته، وتوليد حديث، وتكلفاً لكلام لا ضرورة له، وإطالة زمن الحجاب على نسائه^(٤).

وأيضاً فإن في هذا الوقت يكون أهل البيت في شغلهم في إعداد الطعام، وفي ثياب العمل فلا يحسن أن يروهن وهن على هذه الحال، وما ذلك كله إلا من شؤم التعجيل قبل الوقت^(٥).

ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم

يونس الخطيب ٦/ ٣٣٦.

(٣) جامع البيان، الطبري ١٩/ ١٥٧.

(٤) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ٨/ ٩٩.

(٥) انظر: تفسير المراغي ٦/ ٣٣٦.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٣٣٦.

تعالى لا يستحي أن يأمركم، بما فيه الخير لكم، والرفق لرسوله كائنًا ما كان^(٣).

وفي هذه الآية يظهر اعتبار الوقت ومراعاته في آداب الزيارة في الشرع، من اختيار الوقت المناسب للزيارة، وأن يكون على قدر الحاجة، وأن لا يطول بحيث يثقل ذلك على المزور.

٢. الاستئذان.

من عظمة التشريع الإسلامي كماله وشموله لجميع مناحي الحياة، صغيرها وكبيرها، فما من أمر من أمور هذه الحياة ولا نجد فيه تشريعاً يضبطه ويبين الصواب فيه من الخطأ، ومن ذلك التشريعات في باب الاستئذان وأحكامه، وقد بين النبي الحكمة في الاستئذان وأهميته، كما في الحديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما جعل الاستئذان من أجل البصر)^(٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في معنى الحديث: «أي: شرع من أجله لأن المستأذن لو دخل بغير إذن لرأى بعض ما يكره من يدخل إليه أن يطلع عليه»^(٥).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٦٧٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر، رقم ٥٤١٦، ٨/٥٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٤.

فَادْخُلُوا ﴿أي إذا دعيتم إلى الدخول في وقته، فادخلوا فيه لا قبله ولا بعده، فـ **وَلَكِنْ**﴾ استدراك من النهي عن الدخول، مع الإذن المطلق الذي هو الدعوة بتعليم أدب آخر. وإفادة شرط مهم، وهو الإشارة إلى أن للدعوة حيناً ووقتاً يجب أن يراعى زمنه، وهذا المنهي عنه لم يزل يرتكبه ثقلاء القرويين ومن شاكلهم من غلطاء المدنيين الذين لم يتأدبوا بآداب الكتاب الكريم^(١).

ثم قال تعالى: **﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسْخِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾**، أي: أن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة، «فلا تطيلوا الجلوس ليستأنس بعضكم بحديث بعض، وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فنهوا عن ذلك»^(٢).

ثم بين تعالى حكمة النهي وفائدته فقال: **﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾** أي: إن انتظاركم الزائد على الحاجة كان يشق على النبي بحبسكم إياه عن شئون بيته، واشتغاله فيه، وهو يستحي منكم أن يقول لكم: اخرجوا، كما هو جاري العادة، أن الناس -وخصوصاً أهل الكرم منهم- يستحيون أن يخرجوا الناس من مساكنهم، ولكن الله

(١) محاسن التأويل، القاسمي ٩٩/٨.

(٢) لباب التأويل، الخازن ٣/٤٣٤.

ولذلك فقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين عند دخولهم بيوتا غير بيوتهم بالاستئذان، كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَمَّا كُمُتُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

ومعنى الاستئناس في الآية أي: الاستئذان، سمي بذلك، «لأنه به يحصل الاستئناس، ويعدمه تحصل الوحشة»^(١).

والأمر بالاستئذان في الآية عام في كل حين يراد فيه دخول بيوت الغير، وهذا في حق عموم المؤمنين، وقد ورد ما يخص هذا الحكم في حق الإماء والعبيد والأطفال، فإنهم لا يجب عليهم الاستئذان كلما دخلوا إلى بيوت غيرهم، إلا في ثلاثة أوقات^(٢).

بينها الله تعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ عَلَيْكُمْ مَلَكُتُ أَمْنِكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْمُزُوا أَمَلَكُمْ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨].

فبين تعالى هذه الأوقات الثلاثة، من قبل صلاة الفجر وهو وقت الانتباه من النوم،

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥٦٥.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي

ولبس ثياب النهار، ووقت القائلة وهي الظهيرة، لأن النهار يظهر فيها إذا علا شعاعه واشتد حره، ومن بعد صلاة العشاء وهو وقت التعري للنوم^(٣).

«وإنما خص هذه الأوقات لأنها ساعات الخلوة ووضع الثياب، فربما يبدو من الإنسان ما لا يحب أن يراه أحد، فأمر الله العبيد والصبيان بالاستئذان في هذه الأوقات»^(٤).

«وأما ما عدا هذه الأحوال الثلاثة فقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ﴾ أي: ليسوا بغيرهم، فإنهم يحتاج إليهم دائما، فيشق الاستئذان منهم في كل وقت، ولهذا قال: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: يترددون عليكم في قضاء أشغالكم وحوادثكم»^(٥).

وهكذا ظهر اعتبار الوقت في آداب الاستئذان، وأن هذه الأوقات الثلاثة التي سماها الله تعالى (عورات) يجب مراعاتها وتوكيد الاستئذان عندها.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي

(٤) معالم التنزيل، البغوي ٦/٦٠.

(٥) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥٧٣.

سادساً: الأذكار والأدعية:

ذكر الله تعالى مستحب في جميع الأوقات، ولكن يزداد استحبابه في أوقات مخصوصة، كما قال تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨].

فقراءة القرآن -كلام الله- عموماً في أي وقت لها فضلها العظيم، ولكنها في ساعة الفجر اختصت مع ذلك بشهود الملائكة^(١)، وكما قال تعالى لئنني زكريا عليه السلام: ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [آل عمران: ٤١].

وقال لئنينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَعْفِرْ لِدُنْيِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [غافر: ٥٥].

وقال لعموم المؤمنين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

فأمر الله تعالى بذكره عموماً في كل وقت، ثم خص فيه بعض الأوقات تنبيهاً على شرف العبادة فيها، فذكر تعالى من ذلك وقتين:

الأول: وهو وقت الغداة أو الإبكار، وهو

أول النهار، وهو ما بين طلوع الفجر إلى الضحى^(٢).

والثاني: العشي أو الأصيل وهو آخر النهار، وهو «ما بين العصر إلى المغرب»^(٣). وهما وقتان فاضلان ولذكر الله فيهما مزية وفضيلة على غيرهما، فمن فضلها أن الله أقسم بكل واحد منهما، فأقسم تعالى بالصبح كما في قوله: ﴿ وَالصُّبْحُ إِذَا أَشْرَقَ ﴾ [المدثر: ٣٤].

وكما في قوله: ﴿ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [التكوير: ١٨].

وأقسم تعالى بالعصر، كما في قوله: ﴿ وَالْعَصْرَ ﴾ [العصر: ١] على أحد أوجه التفسير في الآية^(٤)، فوقتا الغدو والعشي وقتان مشهودان من الملائكة، كما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم

(٢) انظر: تفسير البسيط، الواحدي ٢٤٤/٥،

مفاتيح الغيب، الرازي ٢١٦/٨.

(٣) جامع البيان، الطبري ٣٥٥/١٣.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٧٩/٢٠.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٠٧/١٠.

وهم يصلون^(١).

كما شرع تعالى فيهما أذكار الصباح والمساء.

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

«وهذا تفسير ما جاء في الأحاديث: من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسي، أن المراد به قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وأن محل هذه الأذكار بعد الصبح وبعد العصر»^(٤).

كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال: حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه)^(٥).

وغير ذلك من الأحاديث، وهكذا يظل المؤمن مراقباً لهذين الوقتين الفاضلين، ليذكر الله تعالى فيهما ويغتنمهما في ذلك. وكما جعل الشارع للذكر أوقاتاً مخصوصة يزداد فيها شرفه ويعظم أجره، جعل ذلك للدعاء أيضاً، فللدعاء أوقات

ولأجل فضيلة هذين الوقتين خصهما الله تعالى بالأمر بالذكر فيهما، فإن لفضيلة الأزمنة والأمكنة أثراً في فضيلة ما يقع فيهما من العبادات^(٢).

كما يضاعف الثواب في ليلة القدر لشرفها، وكما تضاعف الصلاة في المسجد الحرام لمكانته، ولذلك أيضاً فقد أوجب الله تعالى في هذين الوقتين - الغداة والعشي - صلاتين عظيمتين جليلتين، وهما صلاة الفجر وصلاة العصر، وهي الصلاة الوسطى التي خصها الله بتوكيد المحافظة عليها.

قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلوات، باب فضل صلاة العصر، رقم ٥٥٥، ١/١١٥، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما، رقم ٦٣٢، ١/٤٣٩.

(٢) انظر: روح المعاني، الألويسي ١٢/١٦٨، تفسير المراغي ٢٣/١٠٦.

(٣) اختلف في الصلاة الوسطى اختلافاً كثيراً، وقد ذكر الحافظ ابن كثير الأقوال في ذلك، ثم قال: وكل هذه الأقوال فيها ضعف بالنسبة إلى التي قبلها، وإنما المدار ومعتك النزاع في الصبح والعصر. وقد ثبتت السنة بأنها العصر، فتعين المصير إليها. انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/٦٥٤.

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم ص ٩٣.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم ٢٦٩٢، ٤/٢٠٧١.

أوقات فاضلة

ورد في القرآن الكريم ذكر بعض الأوقات المخصوصة وبيان فضلها، وذلك تنبيها عليها وحضاً على الانتفاع بها واغتنامها، وهو من طريقة القرآن في الهداية إلى خير الأمور وأقومها، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وستحدث عن تلك الأوقات المخصوصة في النقاط الآتية:

أولاً: شهر رمضان:

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فبين تعالى شرف هذا الشهر من بين سائر الشهور، باختياره من بينهن لإنزال القرآن العظيم فيه (٢).

وذهب الجمهور في معنى نزول القرآن إلى أنه: نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك مفزاً على النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة، وقيل: معنى إنزاله في شهر رمضان: ابتداء إنزاله فيه، وذلك لأن مبادئ الملل والدول هي التي يؤرخ بها

مخصوصة يكون فيها أقرب للإجابة، من ذلك ساعة الاضطراب والتي يحصل فيها كمال التوجه إلى الله، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَّكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا لَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

وكما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له) (١).

ولا يخفى ما في هذا الحديث من الترغيب في الدعاء والحرص عليه في هذا الوقت.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه، رقم ٥٢١/١، ٧٥٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥٠١/١.

لكونها أشرف الأوقات ^(١).

﴿١﴾ [القدر: ١].

وأن العمل فيها أفضل من العمل في ألف شهر خالية منها ^(٤)، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ^(٢) [القدر: ٣].

وأن الملائكة يكثر نزولها فيها كما في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ^(٣) [القدر: ٤].

قال ابن كثير: «أي: يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركاتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له» ^(٥).

وما ذكره الحافظ ابن كثير من كثرة بركة ليلة القدر جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ ^(٦) [الدخان: ٣].

فالليلة المباركة هي ليلة القدر، ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان فقد أبعد النجعة، فإن نص القرآن أنها في رمضان ^(٦).

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى اغتنام هذه الليلة المباركة ورغب في ذلك، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي

وبعد أن بين تعالى فضل هذا الشهر وما حصل فيه من الفضل العظيم بإنزال القرآن المشتمل على الهداية والبيان والفرقان بين الحق والباطل، نبه جل شأنه عباده إلى اغتنام هذا الشهر المبارك، وأن يشكروه تعالى فيما أنعم به عليهم فيه، فأمر بصيامه، فكأنه قال: حقيق بشهر، هذا فضله، وهذا إحسان الله عليكم فيه، أن يكون موسما للعباد مفروضا فيه الصيام ^(٢).

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صام رمضان، إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه) ^(٣).

ثانياً: ليلة القدر:

وقد أنزل الله تعالى سورة كاملة في بيان فضلها، هي سورة القدر، ومما ذكره تعالى فيها من ذلك: أنها الليلة التي أنزل فيها القرآن.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٥٢/٥.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان، رقم ٣٨، ١٦/١، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح، رقم ٧٦٠، ٥٢٣/١.

(٤) انظر تفسير الجلالين، المحلي والسيوطي ص ٨١٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٤٤/٨.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٤٥/٧.

رابعاً: الأشهر الحرم:

وهي أربعة أشهر: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، كما بينها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك.

ففي الحديث عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، مضر الذي بين جمادى، وشعبان) (٥).

وقد ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقَيْنَا فَلَا تَغْلِبُوا فِيهِمْ أَنْفُسُكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

ما جاء في العمل في أيام العشر، رقم ٧٥٧، ١٢١/٣.

وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم ٥٥٤٨، ٩٧٣/٢.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، رقم ٣١٩٧، ١٠٧/٤، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، وهو التراويح، رقم ١٦٧٩، ١٣٠٥/٣.

الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) (١).

ثالثاً: العشر الأوائل من ذي الحجة:

وقد أقسم الله تعالى بها في قوله: ﴿وَلْيَايَ عَشْرِ﴾ [الفجر: ٢] (٢).

وقسمه تعالى بها فيه إشعار بفضلها، وهي ليال عظيمة فيها تؤدي مناسك الحج، كالإحرام ودخول مكة وأعمال الطواف، وفي ثامنتها ليلة التروية، وتاسعتها ليلة عرفة وعاشرتها ليلة النحر (٣).

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر، فقالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء) (٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية، رقم ١٩٠١، ٢٦/٣، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح، رقم ٥٢٣/١، ٧٦٠.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/ ٣٩٠.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠/ ٣١٣.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الصوم، باب

قال الإمام القرطبي: «هذه الآية تدل على أن الواجب تعليق الأحكام من العبادات وغيرها إنما يكون بالشهور والسنين التي تعرفها العرب، دون الشهور التي تعتبرها العجم والروم والقطب وإن لم تزد على اثني عشر شهراً، لأنها مختلفة الأعداد، منها ما يزيد على ثلاثين ومنها ما ينقص، وشهور العرب لا تزيد على ثلاثين وإن كان منها ما ينقص، والذي ينقص ليس يتعين له شهر، وإنما تفاوتها في النقصان والتمام على حسب اختلاف سير القمر في البروج»^(١).

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ﴾ أي: هذا هو الشرع المستقيم، من امتثال أمر الله فيما جعل من الأشهر الحرم، والحدو بها على ما سبق في كتاب الله الأول أي: اللوح المحفوظ^(٢).

وقد خص الله تعالى الأشهر الحرم من بين سائر الشهور بمزيد حرمتها.

قال العلامة السعدي رحمه الله: «سميت حرماً لزيادة حرمتها، وتحريم القتال فيها، ﴿فَلَا تَقْتُلُوا فِيهَا أَنْفُسَكُمْ﴾ يحتمل أن الضمير يعود إلى الاثني عشر شهراً، وأن الله تعالى بين أنه جعلها مقادير للعباد، وأن تعمر بطاعته، ويشكر الله تعالى على منته بها، وتقيضها لمصالح العباد، فلتحذروا من

ظلم أنفسكم فيها. ويحتمل أن الضمير يعود إلى الأربعة الحرم، وأن هذا نهى لهم عن الظلم فيها، خصوصاً مع النهي عن الظلم كل وقت، لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها»^(٣).

وقال قتادة رحمه الله: «الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزراً، من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً، ولكن الله يعظم من أمره ما شاء»^(٤).

وقد حذر القرآن الكريم من التلاعب بالأشهر الحرم كما كانت العرب تفعل، وعد ذلك من الكفر.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلِلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٥) [التوبة: ٣٧].

أي: «إنما التأخير الذي يؤخره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الأربعة، وتصييرهم الحرام منهن حلالاً والحلال منهن حراماً، زيادة في كفرهم وجحودهم أحكام الله وآياته»^(٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٣٣٦.

(٤) جامع البيان، الطبري ١٤ / ٢٣٩.

(٥) المصدر السابق ١٤ / ٢٤٣.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٨ / ١٣٣.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤ / ١٤٨.

خامساً: يوم الجمعة:

وقد سمي الله تعالى سورة من كتابه باسمه (سورة الجمعة)، جاء فيها ذكر يوم الجمعة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

وهو أفضل أيام الأسبوع^(١)، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة)^(٢).

وقد أقسم الله تعالى به كما في قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٣]. أقسم بشاهد، وهو يوم الجمعة، ومشهود وهو يوم عرفة^(٣).

قال ابن كثير: ﴿وَشَاهِدٍ﴾ يوم الجمعة. وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، ولا يستعذ فيها من شر إلا أعاده، ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يوم عرفة^(٤).

(١) انظر: زاد المعاد، ابن القيم ١/ ٦٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، رقم ٨٥٤، ٢/ ٥٨٥.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٤/ ٣٣٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/ ٣٦٤.

وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم في استغلال هذا اليوم الفضيل بالعمل الصالح، كما جاء في الحديث عن أوس بن أوس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي، قال: فقالوا: يا رسول الله: وكيف تعرض صلاتنا عليك، وقد أُرمت؟ - قال: يقولون: بليت - قال: إن الله تبارك وتعالى حرم على الأرض أجساد الأنبياء صلى الله عليه وسلم).^(٥) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين)^(٦).

موضوعات ذات صلة:

الأجل، الذكر، العبادة، الليل، النهار

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، باب تفريع أبواب الوتر، باب في الاستغفار، رقم ١٥٣١، ٨٨/ ٢.

وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم ٢٢١٢، ١/ ٤٤٠.

(٦) أخرجه الحاكم في مستدركه، رقم ٣٣٩٢، ٣٩٩/ ٢.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم ٦٤٧٠، ٢/ ١١٠٤.